الوقت نفسه، لعقد مؤتمر مع الحركة الصهيونية. ولم تكن الدعوة من قبل جماعة اللامركزية، في نظر نصار، الا للالتفاف على حركة الشباب الناهض وامتصاصها، بحيث يكون ذلك اداة ضاغطة على الحركة الصهيونية لعقد المؤتمر المزمع، فتكون الشبيبة، بذلك، سُلماً لجماعة اللامركزية لتحقيق المؤتمر واستدرار المنافع المادية من الصهيونيين[١٠٣].

وازاء فتور رغبة الحركة الصهيونية في عقد المؤتمر واحراج جماعة اللامركزية، بدا واضحاً ان نغمة التئام مؤتمر تفاهم بين العرب والصهيونيين اصبحت في طريق الزوال. فلقد نقلت «منار» الشيخ رشيد رضا عن جريدة «فلسطين» بعض فصول كتاب اوسشكين «برنامج الصهيونية...»، وعلق الشيخ رشيد على ذلك بقوله: «لو لم تنشر من هذا الكتاب الصهيوني الا هذه الفصول، لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبياناً لمقاصد هؤلاء الصهيونيين... ان الصهيونيين اذا تم لهم ما يريدون، فانهم لا يبقون في ارض الميعاد التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلماً ولا نصرانياً، وليست ارض الميعاد عندهم ما نسميه نحن فلسطين فقط، بل هي... تمتد من سوريا حتى النهر الكبير اي نهر الفرات...»[١٠٤].

وكانت «الكرمل» قد نشرت بياناً الى الفلسطينيين، تلقته من منظمة وطنية في القدس، تضمن مطلباً حازماً ودعوة قوية للوقوف في وجه الخطر الصهيوني الزاحف على فلسطين. وطالب البيان بالضغط على السلطة لحظر بيع الاراضي الاميرية للاجانب، وتطوير الصناعة المحلية ومقاطعة الصناعات الصهيونية، كما طالب الاهلين بمقاومة بيع الاراضي بكل وسيلة، وبطرد السماسرة خارج البلاد، وشدد على مقاومة الهجرة داعياً الى فتح مدارس، صناعية ومهنية وعلمية، وتعزيز اللغة العربية. واتبعت «الكرمل» البيان بتوجيهاتها الى الشباب: «عليكم ان تجندوا الرأي العام حتى تتمكنوا من تحقيق هذه الاهداف، وليس لكم ان تلوموا الصهيونيين بقدر ما ينبغي ان تلوموا زعماء بلدكم وموظفي حكومتكم الذين يبيعون الارض ويعملون كسماسرة لهم. اوقفوا هذه المبيعات توقفوا الحركة الصهيونية»[١٠٥].

ومع اقتراب الحرب العالمية الاولى واستبعاد انعقاد مؤتمر التفاهم، كانت النغمة على «الاتحاديين» الاتراك قد ازدادت، لتعاطفهم المتزايد مع النشاط الصهيوني وتركيزهم على فكرتي «التتريك» والمركزية الصارمة. في هذا الوقت، بدأ التوجه نحو التوحد في المواقف لمواجهة المد الصهيوني والطغيان التركي، وهكذا كانت جمعيتا «العهد» و«الفتاة»، المنظمتان الثوريتان اللتان ناضلتا في سبيل استقلال العرب بعد نشوب الحرب العالمية الاولى، تضمان في صفوفهما الكثيرين من الفلسطينيين. وكان الفلسطينيون يعتبرون الصهيونيين حلفاء للاتراك في وجه النهضة، اما نصار، فقد اضطر الى الفرار من وجه السلطات خشية اعتقاله بسبب انتقاده العنيف لتحالف تركيا مع المانيا. وكان انتقاده منطلقاً من القناعة بأن بريطانيا هي سيدة البحار والوقوف موقفاً مناهضاً لها من شأنه ان يفسخ الامبراطورية العثمانية، لذلك دعاها اما الى الحياد واما الى التحالف مع بريطانيا[١٠٦]. وساهم في غضبة السلطات عليه مناهضته الشرسة للصهيونية وانتقاداته اللاذعة للاتراك.

وقد اختبأ، اول الامر، في بيت صديقه فضل الفاهوم، في الناصرة، ثم عند عرب «السردية» يرعى الاغنام لاكثر من سنتين في منطقة الغور، حيث كان يملك فيها قطعة ارض عمل في زراعتها في اوائل عهده.

وحين بلغه ان السلطات مزمعة على اعتقال اشقائه ونفيهم بسببه، سلم نفسه الى قائمقام